

التبيان في تفسير القرآن

(454) عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين

(78) آيتان بلاخلاف. أخبر الله تعالى في هذه الآية بما حل بئمود من العذاب، فقال " فأخذتهم الرجفة " وهي حركة القرار المزعة لشدة الزعزعة تقول: رجف بهم السقف رجوا اذا اضطرب من فوقهم، وقال المجاهد والسدي: الرجفة الصيحة. وقال آخرون: هي زلزلة أهلكوا بها، قال الاخل: اما تريني حناني الشيب من كبر * كالنشر أرجف والانسان مهود (1) وقوله " فأصبحوا في دارهم جاثمين " إنما قال دراهم على التوحيد لامرين: أحدهما - إن المعنى في بلدهم، وهو واحد. والآخر - أن معناه في دورهم، وإنما وحد كما توحّد أسماء الاجناس كقوله " إن الانسان لفي خسر " (2) والاخذ نقل الشئ عن حاله إلى جهة الناقل له، وضده الترك كأخذ الدينار وترك الدرهم. ومعنى " جاثمين " باركين على ركبهم موتى، جثم يجثم جثوما اذا برک على ركبتيه. وقيل: صاروا رمادا كالرماد الجاثم، لان الصاعقة أحرقتهم، وقال جرير: عرفت المنتأى وعرفت منها * مطايا القدر كالجاء الجثوم (2) وقوله " فتولى عنهم " يعني أن صالحا تولى عن قومه، والتولى الذهاب عن الشئ وهو الاعراض عنه، وانما تولى، لانه أقبل عليهم بالدعاء إلى توحيد الله وطاعته، فلما خالفوا ونزل بهم العذاب تولى عنهم لليأس منهم وتولاه بمعنى أولاه نصرته ومعونته، ومنه قولهم (تولاك الله بحفظه) وقوله _____ (1) ديوانه: 146 وتفسير الطبري 12 / 544. (2) سورة 103 العصر آية 2. (3) ديوانه: 507 ومجاز القرآن 1 / 218 وتفسير الطبري 12 / 546.